

روح المعاني

كما سمعت لبيان الإقرار والإعتراف منهم في الآخرة بما أنكروه في الدنيا وتلك لبيان الإمتثال الذي يستدعي شكر المنعم أو لبيان الدلائل لتصرفهم عن الكفر . ويرجع هذا القول إن أمر إطلاق الإمامة على كلتا الإمامتين ظاهر وتعقبه في الكشف بأنه لا قرينة في اللفظ تدل على خروج الإحياء الأول مع أن الإطلاق عليه أظهر والمقابلة تنادي على دخوله ويكفي في الإعتراف إثبات إحياء واحد منهما غير الأول وقيل : إنما قالوا : أحييتنا اثنتين لأنهما نوعان إحياء البعث وإحياء قبله ثم إحياء البعث قسما إحياء في القبر وإحياء عند القيام ولم يذكر تقسيمه لأنهم كانوا منكرين لتقسيمه . وتعقب أن ذكر الإمامة الثانية التي في القبر دليل على أن التقسيم ملحوظ والمراد التعدد الشخصي لا النوعي نعم هذا يصلح تأييدا لما اختاره جار الله وروي عن جمع من السلف من أن الإحياءات وإن كانت ثلاثا إنما سكت عن الثانية لأنها داخله في إحياءة البعث قاله صاحب الكشف ثم قال : وعلى هذا فالإمامة على مختار جار الله إمامة قبل الحياة وإمامة بعدها وطويت إمامة القبر كما طويت إحياءته ولك أن تقول إن الإمامة نوع واحد بخلاف الإحياء فروعى التعدد فيها شخصا بخلافه وذكر الإمامة الثانية لأنها منكرة عندهم كالحياتين ويجب الإعتراف بها لا للدلالة على أن التعدد في الأحياء شخصي والحق أن ذلك وجه لكن قوله تعالى : اثنتين ظاهر في المرة فلذا أثر من أثر الوجه الأول وإن كانت الإمامة فيه غير ظاهرة ذهابا إلى أن ذلك مجاز مستعمل في القرآن فتأمل .

وقال الإمام : إن أكثر العلماء احتجوا بهذه الآية في إثبات عذاب القبر وذلك أنهم أثبتوا لأنفسهم موتين فأحدى الموتين مشاهد في الدنيا فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي عقبيها موتا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر وأطال الكلام في تحقيق ذلك والانتصار له والمنصف يرى أن عذاب القبر ثابت بالأحاديث الصحيحة دون هذه الآية لقيام الوجه المروي عن سمعت أولا فيها وقد قيل : إنه الوجه لكنني أظن أن اختيار الزمخشري له لدسياسة اعتزالية وقال ابن زيد في الآية أريد إحياءهم نسما عند أخذ العهد عليهم من صلب آدم ثم إمامتهم بعد ثم إحياءهم في الدنيا ثم إمامتهم ثم إحياءهم وهذا صريح في أن إحياءات ثلاث وقد أطلق فيه الإحياء الثالث والأغلب على الظن أنه عني به إحياء البعث وقيل : التثنية في كلامهم مثلها في قوله تعالى : فأرجع البصر كرتين مراد بها التكرير والتكثير فكأنهم قالوا : أمتنا مرة بعد مرلة وأحييتنا مرة بعد مرة فعلمنا عظيم قدرتك وأنه لا يتعاصها إلا عادة كما لا يتعاصها غيرها فاعترفنا بذنوبنا التي

اقتربناها من إنكار ذلك وحينئذ فلا عليك أن تعتبر الموت في صلب آدم ثم الإحياء لأخذ العهد ثم الإماتة ثم الإحياء بنفخ الروح في الأرحام ثم الإماتة عند انقضاء الأجل في الدنيا ثم الإحياء في القبر للسؤال أو لغير ثم الإماتة فيه ثم الإحياء للبعث ولا يخفى أنه ما فيه إنما يتم لو كان المقول أمتنا إمامتين أو كرتين وأحييتنا إحياءتين أو كرتين مثلا دون ما في المنزل فإن اثنتين فيه وصف لإمامتين وإحياءتين وهو دافع لاحتمال إرادة التكثير كما قيل في إلهين اثنين وبناء الأمر على أن العدد لا مفهوم له لا يخلو عن بحث ومن غرائب ما قيل في ذلك ما روي عن محمد بن كعب أن الكافر في الدنيا حي الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان فهناك إماتة وإحياء للقلب والجسد في الدنيا ثم إماتتهم عند انقضاء الآجال ثم إحيائهم للبعث ومثل هذا يحكى ليطلع على حاله فهل إلى خروج أي إلى نوع خروج من النار أي فهل إلى خروج سريع أو بطيء أو من مكان منها إلى آخر أو إلى الدنيا أو غيرها